

اتهام أبي حنيفة بوضع الأحاديث والرواية عن الضعفاء

التاريخ : 11-10-2020 18:52:43

المصدر : شبهات المشككين في
الإسلام

المؤلف : مجموعة مؤلفين

نص السؤال

اتهام أبي حنيفة بوضع الأحاديث والرواية عن الضعفاء

خاتمة الجواب

اتهام أبي حنيفة بوضع الأحاديث والرواية عن الضعفاء (*)
مضمون الشبهة:

يتهم بعض المغرضين أبا حنيفة النعمان بوضع الأحاديث لتسويغ اجتهاداته؛ حتى يقنع الناس بها، وأنه كان يروي الأحاديث عن
الضعفاء لقلة علمه بالحديث □

رامين من وراء ذلك إلى الطعن في الإمام أبي حنيفة أحد أئمة الحديث ورواته العظام □

وجوه إبطال الشبهة:

1) لقد أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيق الإمام أبي حنيفة، وقبول حديثه، فهل يعقل أنه لو كان يضع الأحاديث أن يوثقه
علماء الجرح والتعديل، الذين لم يحابوا أحداً قط؟! إلى جانب أن شهرته بالتقوى والعلم والورع تربأ به عن فعل هذا الأمر الشنيع □

2) لم يكن الإمام أبو حنيفة يروي عن الضعفاء لجهله بضعفهم؛ وإنما لأن الثقة عنده قد يكون ضعيفاً عند غيره، وهذا الأمر معلوم
وممسطر في كتب الجرح والتعديل، وهو بذلك ليس بداعاً من القوم، فيتهم بقلة معرفته بعلم الحديث؟!

3) كان الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - علم بالحديث روایة ودرایة، مفتياً على هديه، لا يخرج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم □

التفصيل:

أولاً توثيق العلماء لأبي حنيفة، وورعه وتقواه يرثاً به عن وضع الأحاديث:

لقد كان أبو حنيفة من المحدثين الثقات الذين لم يختلف أحد على توثيقهم، وقبول حديثهم، فقد أجمع العلماء على قبول حديثه؛ مما يدل على بطلان هذا الزعم القائل بوضع أبي حنيفة للأحاديث؛ إذ كيف يجمع علماء الجرح والتعديل على توثيق رجل يضع الحديث، وهو الذين لم يحابوا أحداً، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم؟!

قال محمد بن سعد العوفي: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة، لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ، وقد سُئل يحيى بن معين أيضاً: أثقة هو في الحديث؟ قال: نعم، ثقة ثقة، كان والله أورع من أن يكذب، وهو أجل قدراً من ذلك، وقال مرة: كان أبو حنيفة عندنا من أهل الصدق، ولم يتم لهم بالكذب، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضياً [1]. وقال عنه الذهبي في السير: عني بطلب الآثار، وارت حل في ذلك، وأما الفقه والتدقير في الرأي وغواصمه، فإليه المنتهي، والناس عليه عيال في ذلك

وعن روایته للأحاديث يقول: ... وروى عن عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له، وأفضلهم على ما قال [2].

فهل من كان رأي علماء الجرح والتعديل فيه على هذا النحو يمكن أن يتهم بوضع الأحاديث؟
ولماذا يتهم بوضع الأحاديث؟ هل ليسو غاية اجتهاداته حتى يقنع الناس بها كما يدعون؟

لا شك أن هذا كلام لا دليل عليه بعد أن سقنا رأي أهل الاختصاص من العلماء فيه، ولا سيما أن فقهه لا يحتاج إلى مثل ذلك؛ فقد شهد له كل كبير وصغير، واقتصر بفقهه كل عالم وجاهل

فقد قيل لمالك: "هل رأيت أبي حنيفة؟" قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً؛ لقام بحاجته" [3]. وقال يحيى بن سعيد القطان: "لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله" [4]. وقال علي بن عاصم: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم، وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر، لا يعييه إلا الجاهل [5]. وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس [6]. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة

قال الذهبي: الإمام في فن الفقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين، رضي الله عنه ورحمه [7].
فهل من يقال عنه ذلك يكون وضاعاً للحديث؟

ولا شك أن الفقيه لا يصير فقيهاً إلا إذا علم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبلغ من التقوى والورع مبلغاً عظيماً، وقد كان أبو حنيفة كذلك

فعن شريك قال: كان أبو حنيفة طويلاً في الصمت، كثير العقل، وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الوتدي؛ لكثر صلاته، وعن يزيد بن كمي: سمع رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله، فانتفض، وأصفر، وأطرق، وقال: جزاك الله خيراً، ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل ذلك، ويروى أن أبي حنيفة ختم القرآن سبعة آلاف مرة، وقال مسعود بن كدام: رأيت أبي حنيفة قرأ القرآن في

وقد روى من غير وجه أن الإمام أبو حنيفة ضرب غير مرة على أن يلي القضاء، فلم يجب [8].

وما إخال أحدا - بعد هذا - يتهم أبو حنيفة النعمان بوضع الحديث، إلا رجلا يخبط خبط عشواء لا يدري ما يقول، وهو لا يعرف في أي بيئه نشأ الإمام الأعظم [9]

لقد نشأ الإمام في بيئه مليئة بالعلماء، إذا أخطأ واحد صاح به الباقي يعرفه خطأه [10] هذه البيئه لم تكن لتسمح لمخلوق بأن يزور حدثا ولو بما أمكن توجيهه انتقادات من أي نوع لفقهه أبي حنيفة إلا وضع الأحاديث؛ ثم إن الرجل كان فقيه رأي، يعتز برأيه دون غلو أو تشبث، وكان يقول: "قولنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاعنا بأحسن من قولنا، فهو أولى بالصواب منا" [9]، فكان يعترض بأن صاحب الرأي معرض للخطأ [10] وقد سُئل يوماً: يا أبو حنيفة! هذا الذي تفتت به، فهو الحق الذي لا شك فيه؟ فقال: والله ما أدرى لعله الباطل الذي لا شك فيه [10]

ورأى تلميذه أبو يوسف يكتب بعض ما سمعه منه؛ فقال: "ويحك يا يعقوب! لا تكتب ما تسمعه مني، فإني قد أرى الرأي اليوم فأتركه غدا، وأرى الرأي غدا فأتركه بعد غد" [10].

ثانياً [11] لم يكن أبو حنيفة يروي عن الضعفاء لجهله بهذا الضعف؛ وإنما لأن من كان ضعيفاً عند غيره قد يكون ثقة عندك

إنه من الثابت تفاوت أئمة الجرح والتعديل في الحكم على راو بالثقة أو الضعف، وكذلك في الرواية عنه، فمن هو ثقة عند بعضهم تجده ضعيفاً عند بعضهم الآخر [11] قال الدارقطني: "يضعف الراوي إذا كان فيه نوع من أنواع الجرح، وهو أمر نسبي عند كل إمام من أئمة الجرح والتعديل" [11].

قد يكون أولئك الرواة الذين يروي عنهم أبو حنيفة مختلفاً في ضعفهم، وهو يعلم وجه التضييق، وحجة المضعف، ويكون مذهبه أن حجة التضييق هذه لا تقتضي الضعف عنده، وقد جرى ذلك لغيره من العلماء والحفاظ؛ فالشافعي كان يروي عن أبي خالد الزغبي المكي، وهو مختلف في توثيقه، وكذلك أحمد بن حنبل يروي عن عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام، وانفرد بتوثيقه حتى قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يقول: جن أحمده؛ يحدث عن عامر بن صالح! [12].

وقال الذهبي: لعل أحمده ما روى عن أوهى منه، وإنما روى عنه أحمده؛ لأنه لم يكن عنده يكذب، وكان عالماً بالفقه والعلم والحديث والنسب وأيام العرب، وقال أبو حاتم: ما أرى بحديثه بأسا [13].

وكذلك أهل الصحاح يرونون عمن هو مختلف فيه، وهذا شيء مشهور، وقد يكون أبو حنيفة إنما روى عن أولئك وذكر حديثهم على سبيل المتابعة والاستشهاد، وقد اعتمد على غير حديثهم من عموم أو حديث أو قياس أو استدلال، أو عمل بالإباحة الأصلية، مثل ما صنع الهايدي والقاسم في الاحتجاج بحديث ابن أبي ضميرة وأبي هارون العبيدي، وأهل الرواية مجتمعون على تجريحهما [14]

وقد أخرج مسلم في الصحيح عن جماعة من الضعفاء المتوضطين على جهة المتابعة والاعتبار، وربما اكتفى بالإسناد إليهم إذا كان إسنادهم عالياً، وكان الحديث معروفاً عند علماء الأثر بإسناد نازل من طريق الثقات [15]

ولعل أبو حنيفة - رحمة الله - روى عن الضعفاء لحفظ حديثهم وسهولة تمييزه من غيره على طريقة الحفاظ الكبار من أئمة الأئمة، فإنهم يحفظون الحديث الصحيح والضعف؛ لأجل التبيين والتحذير من العمل بالضعف، وذلك مشهور عنهم [16]

وفي الرواية المشهورة عن البخاري أنه قال: "احفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح" [14].

وقال إسحاق بن راهويه: أعرف مكان مائة ألف حديث، كأني أنظر إليها، وأحفظ سبعين ألف حديث صحيحة عن ظهر قلب، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة، فقيل له: ما معنى حفظ المزورة؟ فقال: إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فليا" [15].

إذا عرفت هذا علمت أنه لا سبيل للطعن في أبي حنيفة بأنه روى بعض الأحاديث عن الضعفاء وأخذ ببعضها، ولا شك أن أبي حنيفة قبل بعض الضعيف، حيث لا يوجد ما يعارضه من حديث الثقة المعلوم العدالة، وكذلك فعل أئمة الحديث الكبار [16].

فعن أحمد بن حنبل أنه كان يقول بالعمل بالحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب أصح منه، وذلك على سبيل الاحتياط، لا على سبيل الإيجاب، ولا على سبيل الجهل بضعف الحديث [17].

وكذلك قال الحافظ أبو عبد الله بن مندة: "إن أبي داود يخرج الحديث الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره؛ لأنه عنده أقوى من رأي الرجال" [18].

وفي هذا شهادة واضحة بأن رواية الحديث الضعيف ليست من قبيل الجهل بضعف الحديث [19]. فأحمد وأبو داود من جلة علماء الأثر بلا مدافعة، وهذا الحديث الضعيف الذي ذكروه ليس حديث الكذابين، ولا حديث أهل الكبائر، فذلك لا يستحق اسم الضعف، إنما يقال فيه: إنه باطل أو موضوع، أو نحو ذلك، وإنما الضعيف ما في حفظ راويه شيء مما ينجر بالشواهد والمتابعات، على ما هو مقرر في علوم الحديث، وعامة التضعيف إنما يكون بقلة الحفظ، وكثرة الوهم [20].

فعلى هذا الوجه تكون رواية أبي حنيفة عن الضعفاء مذهبًا و اختيارًا، لا جهلا وجذافا [21].

نخلص من هذا إلى أن رواية أبي حنيفة لأحاديث ضعيفة لا تدل على جهله بضعفها، ويدلنا على ذلك علمه الواسع بالحديث ومصطلحه، والرجال وتعديلهم وتجريتهم [22]. فقد كان أبو حنيفة إماما مجتهدا ياجماع الموافقين والمخالفين، ومن شرائط الاجتهاد أن يحيط المجتهد بأحاديث الأحكام، وهي آلاف، وعلى أقل تقدير بعض مئات كما ذهب إليه بعض الحنابلة، فكيف يسوغ له أن يعرف هذا العدد من الأحاديث ثم لا يعرف صريحها وضعيتها وعللها، وكيف اعتبر الأئمة اجتهاده وعنوا بفقهه ونقلوه في الآفاق، واستغلوا به تقريرا أو نقدا - وهو قائم على غير أساس؟!

إن فقه أبي حنيفة قائم على الأحاديث الصحيحة، وقد جمع شارح القاموس "السيد مرتضى الزبيدي" رحمه الله - كتابا جمع فيه الأحاديث من مسانيد أبي حنيفة، والتي وافقه في روايتها أصحاب الكتب الستة سماه "عقد الجوادر المنيفة في أدلة أبي حنيفة" [23].

فكيف تكون هذه المواقفة مع عدم علمه بالحديث؟!

ومما يؤكّد أن فقه أبي حنيفة كان قائما على الحديث، أن ابن أبي شيبة في مصنفه أفرد بابا لما خالف فيه أبو حنيفة ما صح من الأحاديث، بلغت مائة وخمسة وعشرين مسألة، فلو سلمنا بذلك وكانت بقية المسائل التي أثرت عنه موافقة للحديث في كل مسألة ورد فيها حديث، فإذا كانت مسائل أبي حنيفة على أقل تقدير ثلاثة وثمانين ألف مسألة، لزم أن يكون عند أبي حنيفة مئات بل آلاف الأحاديث، وهذا العدد - بلا شك - لا يجتمع عند إمام فيفتي به، إلا عن بينة من صحة ما يرويه ويفتني به [24].

ثالثاً: معرفة أبي حنيفة بنقد الحديث:

يقول الدكتور مصطفى السباعي: وما يزيدك يقيناً بمعرفة أبي حنيفة بعلم الحديث وأصوله، أن العلماء يعتمدون رأيه في مصطلح

الحديث ورجاله، وكانت له شروط في قبول الأخبار، وفيها من الشدة ما لا يخفى، وقد خالفه المحدثون في أكثرها، لكنه كان له العذر في ذلك؛ إذ كان في بيته فشا فيها الكذب، وكان له اجتهاد ووجهة نظر في الأحاديث التي خالفها، وأمثلة ذلك ما يلي:

١. قال الأوزاعي لأبي حنيفة: لماذا لا ترفعون أيديكم عند الركوع، وعند الرفع منه؟ فقال أبو حنيفة: حدثني حماد عن إبراهيم عن علامة والأسود عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يرفع يديه إلا عند افتتاح الصلاة، ولا يعود إلى شيء من ذلك. فقال الأوزاعي: أحدثك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، وتقول: حدثنا حماد عن إبراهيم؟ فقال أبو حنيفة: كان حماد أفقه من الزهري، وكان إبراهيم أفقه من سالم، وعلامة ليس بدون ابن عمر، وإن كان لابن عمر صحبة، فالأسود له فضل كبير، وفي رواية أخرى: إبراهيم أفقه من سالم، ولو لا فضل الصحابة لقلت: إن علامة أفقه من عبد الله بن عمر، وعبد الله هو عبد الله، فسكت الأوزاعي.

٢. واجتمع سفيان بن عيينة بأبي حنيفة فسألها: هل صحيح أنك تفتئي بأن المتباعين ليس لهم الخيار إذا انتقالا من حديث البيع إلى حديث آخر غيره، ولو ظلا مجتمعين في مكان واحد؟ قال: نعم، قال سفيان: كيف وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البيعان بالختار ما لم يتفرقا"؟ قال أبو حنيفة: أرأيت إن كانوا في سفينة، أرأيت إن كانوا في سجن؟ أرأيت إن كانوا في سفر؟ كيف يفترقان؟

فانظر إلى فقه أبي حنيفة، فإنه لم يرد الحديث، إنما فهم من التفرق، تفرق الأقوال لا الأجسام، مراعاة للمقصود من العقود من ذلك يتبين لنا سعة علم أبي حنيفة في الحديث، لاسيما نقه سنداً ومتناً، ومثل هذا الضرب من العلماء لا ينفعهم - بحال - بوضع الأحاديث أو الرواية عن الضعفاء جهلاً منه وحاشاه من ذلك [18].

الخلاصة:

- إن أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - له من التقوى والورع والزهد ما يدفع عنه كل ريبة وشك، وقد تبين ذلك من خلال أقواله وأفعاله التي وردت عنه.
- لقد أجمع العلماء على توثيق أبي حنيفة، وقبول حديثه، وأنه لا يحدث إلا بما يحفظ، ولا يحدث بما لا يحفظ؛ فهل مثل هذا يكون وضاعاً للأحاديث؟!
- لقد بلغ الإمام أبو حنيفة من الفقه ما جعل الشافعي يقول عنه: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة"، والذهبي أيضاً يقول: "وأما الفقه والتدقير في الرأي وغواصاته فإليه المنتهي، والناس كلهم عيال عليه في ذلك": فلا يتصور أن يكون أبو حنيفة بهذه الدرجة من الفقه والتقوى، ثم يروي أحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- لقد نشأ أبو حنيفة في بيته مليئة بالعلم والعلماء، تجعل من الصعب، بل من المستحيل أن يضع حديثاً واحداً وينسبه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ إن مثل هؤلاء العلماء ما كانوا يسكنون على ذلك.
- إن الرواية الذين روى عنهم أبو حنيفة مختلف فيهم، فالضعف عنده قد يكون ثقة عند غيره، والثقة عنده قد يكون ضعيفاً عند غيره، وقد حدث ذلك لكثير من الأئمة الأثبات مثل مسلم، وأبي مالك، وأحمد بن حنبل، بل هو معروف في علم الجرح والتعديل.
- لم يأخذ الإمام أبو حنيفة بالحديث الضعيف، إلا إذا لم يجد ما يعارضه من حديث الثقة المعلوم العدالة، أما إذا وجد ما يعارضه من الصحيح لم يأخذ به.

· إن روایة الإمام أبي حنيفة للضعيف ليست من قبيل الجهل بأحوال الرواية وصفة الحديث، وإنما لحفظها والتمييز بينها وبين الأحاديث الصحيحة بكل سهولة

· لم يكن أبو حنيفة بداعاً من أئمة الحديث في هذا، وإنما سلك غيره هذا المسلك من الأئمة الكبار، كالبخاري وإسحاق بن راهويه وغيرهما

· أما درايته بعلم الحديث والرجال فإن باعه في ذلك كبير، وكم احتاج على مخالفيه ياظهار وجهه نظره في الرجال، يدل على ذلك حفظه مئات بلآلاف الأحاديث، ولا يبلغ إمام مجتهد هذه الدرجة إلا إذا كان على قدر كبير من معرفة الحديث، بالإضافة إلى أن علماء الحديث كانوا يعتمدون رأيه في مصطلح الحديث، وهذا ينفي عنه دعوى جهله بالحديث، وقلة علمه فيه

المراجع:

(*) كيف ولماذا التشكيك في السنة، د. أحمد عبد الرحمن، مكتبة وهبة، ط١، 1428هـ/2007م العواسم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم، الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، 1429هـ/2008م

[1]. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (450، 13/449).

[2]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (6/392، 391).

[3]. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (337، 13/338).

[4]. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (13/345).

[5]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (6/403).

[6]. تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (1/168).

[7]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (6/403).

[8]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (401، 6/400).

[9]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (13/352).

[10]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (13/424).

[11]. كتاب الضعفاء والمترؤكين، الدارقطني، تحقيق: السيد صبحي البدرى السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، 1406هـ/1986م، ص27.

[12]. ميزان الاعتدال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د. ت، (2/360).

[13]. توضيح الأفكار لمعاني تنقية الأنوار، الأمير الصناعي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د. ت، (1/320).

[14]. تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (2/556).

[15]. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المزني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، 1413هـ/1992م، (2/385).

[16]. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، 1410هـ/1990م، (13/214).

[17]. انظر: العواصم والقواسم، الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، 1429هـ/2008م،

.(349 :1/346)

[18]. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة، ط٣، 1427هـ/2006م، ص 382.